غبطة البطريرك صفير: لا نقول إن سورية تحتل لبنان بل إنها تتدخل في شؤونه

لندن: عمار الجندي – الشرق الأوسط ٢٠٠٣/١١/٢

قال البطريرك نصر الله بطرس صفير، بطريرك انطاكية وسائر المشرق للمسيحيين الموارنة، انه لا يزال على رأيه بأن الرئيس السوري بشار الاسد يتمتع بالحكمة، لكنه اشار الى ان هناك «مجموعة من الحرس القديم» تترك تأثيرها على القرار في دمشق. وأكد الزعيم الماروني في مقابلة أجرتها معه «الشرق الأوسط» خلال زيارته الرسمية التي بدأت الخميس الماضي الى بريطانيا، ان من مصلحة بلاده ان تبقى على علاقات طيبة مع سورية لما يجمعهما من أخوة ومصاهرة وجوار. بيد انه اعتبر ان دمشق تتدخل في كل شاردة وواردة بلبنان. واذ رفض اطلاق صفة «الاحتلال» على هذا التدخل فهو قارن الوجود السوري في لبنان بالوجود الالماني في فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، داعياً الى معالجة هذا الوضع بصورة ودية قوم على التنسيق والاحترام المتبادلين.

ورأى ان ثمة «اختلاطا بين السياسة والقضاء» في لبنان، مشدداً على ضرورة عدم تعديل الدستور لأبسط الامور ووضع قانون انتخابي قبل اجراء الانتخابات بزمن طويل وليس كما تم عامي ١٩٩٢ و١٩٩٦. وأكد عدم رغبته في الاستجابة الى دعوة بتسلم رئاسة الجمهورية. وقال ان لبنان عاجز عن توطين الفلسطينيين المقيمين فيه وان تحريك جبهة الجنوب من قبل حزب الله «امر مؤسف». وفي ما يلي نص الحديث:

* تطالبون منذ سنوات بوقف سورية تدخلها في الشؤون الداخلية اللبنانية وسحب قواتها من لبنان. والبعض يقول ان الوقت حان للجوء الى وسيلة أخرى باعتبار ان هذا المطلب لم يتحقق بعد، فما رايكم؟

ــ نحن لا نعتقد ان وسيلة أخرى ستكون ناجحة. الوسيلة الوحيدة هي اننا نريد ان نحافظ على أحسن علاقة مع سورية. ما من أحد يمكنه ان يعيش في حالة عداء مع جاره وبيننا وبين سورية أكثر من جيرة فهناك علاقات مشتركة وأخوة ومصاهرات وسوى ذلك. ولكن في الوقت عينه، نحن لنا الحق بأن نتدبر شؤوننا بذاتنا وان نختار من نريد من الذين يتولون الاحكام عندنا. وليس هذا بغريب وهذا من حق كل بلد. وكما ان لبنان لا يتدحل في شؤون سورية في هذا المجال، كذلك على السوريين وغير السوريين ألا يتدخلوا في شؤون لبنان الداخلية وهناك مجال للتنسيق كما تفعل جميع الدول.

* بعض اللبنانيين يعتبرون هذا التدخل «احتلالاً». وآخرون، بمن فيهم سياسيون أجانب يرفضون ذلك. مثلاً وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية بيل رامل قال قبل اشهر في مجلس العموم البريطاني ان سورية لا تحتل لبنان. هل توافقه الرأي؟

ــ هذا قوله، ولا أدري ما قاله تماماً. انما نحن لا نقول بالاحتلال لان سورية هي دولة شقيقة صديقة. ولكن الواقع ان سورية تتدخل في الشؤون لبنانية ولا يتم شيء في لبنان من دون موافقة سورية.

* وبالنسبة لاحتمال وجود طرق أخرى لمعالجة هذه المسألة، ما رأيكم بالوسيلة التي اتبعها العماد ميشال عون؟

ــ نحن لا نقول بالوسيلة التي اختارها العماد عون. له انيختار ما يشاء، وقلنا ان له أسلوبه ولنا اسلوبنا.

* وماذا عن فتح النيابة العامة اللبنانية تحقيقاً بادلائه شهادة أمام لجنة الكونغرس الاميركي التي نظرت بمشروع قرار «محاسبة سورية»؟ كان لكم موقف معارض للتحقيق، فهل تنوون اثارة الموضوع مجدداً بطريقة أو أخرى؟

ــ اثارة القضية ليست من شأننا. للقضاء طبعاً توجهاته، وربما كان هناك أيضا اختلاط بين السياسة والقضاء. واذا قضت الحاجة في المستقبل (لاثارة الموضوع) سنرى ذلك.

* كثيرون في لبنان يعتبرون ان المشكلة ليست في الوجود السوري بل في المسؤولين اللبنانيين «الملكيين اكثر من الملك». هل انتم من هذا الرأي؟

ــ هناك اناس طبعاً يستفيدون من الوجود السوري وهذا لا ينفيه احد من طبيعة الناس. فعندما كانت ألمانيا في فرنسا كان هناك ديغوليون وبيتانيون وكان هناك ايضاً خلاف في وجهات النظر. نحن لا نريد ان نتهم بعضنا بعضاً لان ذلك قد يقود الى فتنة ونحن نعتقد اننا انتهينا من الفتنة داخل البلد ونريد ان يكون هناك وئام وسلام ومحبة وتعاون بين جميع اللبنانيين.

* اذا انتهت الفتنة هذا يعني ان الباب بات مفتوحاً لتحقيق وحدة وطنية؟

ــ نعم الباب يجب ان يكون مفتوحاً الا اذا كان هناك مداخلات وانت تعلم ان المداخلات تقود الى الانشقاق والى التقسيم.

* لكن باعتبار ان الانتخابات النزيهة هي المقدمة الاساسية للوحدة الوطنية، ماذا سيكون موقفكم في حال اقرار قانون انتخابي جديد لا يحقق مطالب لبنانيين يريدون وصول ممثلين حقيقيين للمسيحيين الىالمجلس النيابي؟ ــ نحن قلنا منذ زمن ان الانتخابات يجب ان تتم بموجب قانون يكون قد اصبح جاهزاً قبل فترة الانتخابات ولا ينتظر ان هناك قانونا يوضع قبل شهر من الانتخابات بحيث لا يعود للناس ابداء اي رأي فيه. وهذا (وضع القانون قبل شهر من الانتخابات) تكرر منذ سنة ١٩٩٢ و١٩٩٦ و لا أدري اذا ما كان سيتكرر بعد ذلك. ولكن نحن نعتقد ان لبنان كسائر الدول يجب ان يكون له قانون انتخاب ثابت يبدي الناس بموجبه رأيهم في الذين يريدون ان ينتخبوهم.

* اذا لم يحصل هذا وأقر قانون انتخابي مخالف لهذا التوجه، فهل ستدعون الى مقاطعة الانتخابات او ستطلبون هيئة مراقبين دوليين مثلاً؟

ــانا لي رأي في الامور اللبنانية ولكن لست انا الوحيد في لبنان، وهذا امر ينظر في وقته.

* هل انتم مع تعديل أو تجديد الدستور من اجل التجديد او التمديد للرئيس اميل لحود؟

ــ الدستور بقي لا يمس طوال ٥٠ سنة، ولكن في هذه المدة الآخيرة اصبح الدستور كأنه قانون عادي يعاد النظر فيه وهذا ليس مستقيماً. وقلنا انه اذا اقتضت الضرورة القصوى تعديل الدستور يعدل الدستور اما ان يعدل لاتفه الامور فهذا ليس وارداً في ذهننا نحن.

* لكن التمديد للرئيس لحود قضية مهمة بالطبع؟

ــ هذا امر ينظر فيه في حينه.

* رشحتكم السيدة علياء الصلح اخيرا لرئاسة الجمهورية، فهل ستفكرون بالامر اذا حصل شبه اجماعفي البلاد؟ ــ نحن نعرف ما هو موقعنا. نحن رجل دين ولسنا رجل دنيا. ولكن الامور تقضي علينا بأن نتعاطى اموراً وطنية عندما يأتي الناس الينا ويفضون الينا بأفكارهم وبما يؤلمهم في شؤون الوطن فلا يمكننا الا ان نعرب على الاقل بصوت عال ما يفضون به الينا بصوت منخفض. أما رئاسة الدولة فهذا ليس بشأننا نحن.

* هناك لبنانيون يدعون لانهاء الوجود السوري بأي ثمن وحتى لو تم ذلك عن طريق أميركا او غيرها. في رأيكم اين يكون الموقف اللبناني الشعبي من سورية؟

ــ ان لكل شعب الحق في ان يتولى أحكامه بذاته عبر من يختارهم طائعاً حراً لهذا المنصب. ولذلك نرى ان الامر اذا استمر على ما هو طبعاً سيكون هناك اناس لا يرضون عنه. ولكن نحن نقول ان المصلحة المشتركة تقضي بأن نكون على احسن علاقة مع سورية فهناك اخوة وهناك مصالح مشتركة وتزاوج.

* لماذااذن لم تزوروا سورية الى الآن وحتى خلال زيارة البابا يوحنا الثاني؟

ــ لم نقم بزيارة لسورية لاننا أولاً لا نتولى الامور في لبنان ولا يمكننا ان ندعي اننا نقوم مقام الدولة في لبنان. نحن طبعاً لنا وضعنا وهو اننا نترأس الطائفة المارونية. ولم نذهب الى سورية لاننا اذا عدنا كما ذهبنا فهذا قد يكون له أثره السلبي على بعض اللبنانيين فييأسون وربما يغادرون لبنان. وهذا لا يمكننا ان نتساهل به فنحن نريد ان يبقى اللبنانيون في لبنان وان يبقى السوريون في سورية.

* اذن لم يكن هناك اية اشارة تدعو الى التفاؤل بتحقيق نتائج ممكنة خلال زيارة الى دمشق؟

ــ نعم.

* ألا تستحق الرعية مارونية هناك زيارتكم كرئيس للطائفة؟

ــ لا حاجة الى الذهاب الى سورية لنرعى الرعية. فالرعية لها رعاة هناك وهم المطارنة ولنا ثلاثة مطارنة في سورية وشعب يعيش كسائر السوريين وهم يمارسون واجباتهم الدينية ولا يبدو لنا انهم غير مرتاحين. انهم مرتاحون لامرهم وهذا يسرنا. أما ان نذهب لكي نذهب فهذا لا معنى له، وثانياً قد يفسر ذهابنا سياسياً ونحن لا نريد ان تفسر الامور على غير حقيقتها.

* أشدتم بحكمة الرئيس بشار الاسد عندما تولى مقاليد الحكم في سورية. فهل لا تزالون على هذا الرأي بعد ثلاث سنوات من بدء عهده؟

ــ نعم. نحن لا نغير رأينا. رأينا ان الرجل يرى في البعيد ويعالج الامور ايضاً بحكمة. ولكن لا ندري الى اي حد يمكنه ان يقنع من حوله من الحرس القديم بوجهة نظره.

* هل هناك معتقلون لبنانيون في سورية؟ واذا وجدوا فما هو عددهم ومتى يفرج عنهم؟

ــ يأتي الينا البعض من اقارب المعتقلين ويقولون لنا ان ذويهم واهلهم واخوانهم لا يزالون معتقلين ويطالبون بذلك (الافراج عنهم) وقد عرفنا ان بعضهم ذهب حتى الى سورية وطالب بذلك. وقيل لنا ايضاً ان السوريين افرجوا عن بعض الناس. ولكن يبقى من هم معتقلون ويظن اهلهم انهم لا يزالون على قيد الحياة، وهذا أمر لا ندري الحقيقة حوله، ولكن نحن نقول ان كل معتقل يجب ان يعود الى ذويه اذا لم يكن حقاً ارتكب جرائم فهذا ايضاً من شأن المحاكم التي تحكم عليه او تقرر براءته.

* المحاكم السورية ام اللبنانية؟

ــ هناك قوانين يجب ان تراعى.

* الاميركيون اعربوا اخيراً عن استيائهم لبث تلفزيون «المنار» التابع لــ«حزب الله» اللبناني مسلسل «الشتات» لانهم يرون فيه شيئاً من العداء للسامية. ما تعليقكم على ذلك؟

ــ الحقيقة ان لا متسع لي من الوقت لمراقبة كل ما تنشره وسائل الاعلام وتبثه التلفزيونات. ولكن نحن قلنا فيما خص «حزب الله»، ان بين الناس من يقولون انه حزب ارهابي ومن الناس من يقولون انما هو مقاوم وهذه المقاومة مشروعة. وكل بلد باستطاعته انيقاوم اذا كان محتلاً، وهذا ما فعله «حزب الله».

* وما رأيكم بتحريكه جبهة الجنوب التي اشتعلت اخيراً عندما قام مقاتلوه بقصف المواقع الاسرائيليةفي مزارع شبعا؟

ــ هذا مؤسف طبعاً. نحن مع السلام ويجب ان يكون هناك سلام يسمح للفلسطينيين والاسرائيليين بأن يقيم كل شعب منهم ضمن دولته المحددة الحدود وان يكون هناك ــ ربما مع الزمن ــ تعاون. واما غير ذلك فلا يبدو ان هناك حلا. الحل لا يأتي من خلال الحرب ومن خلال العنف.

* اذن قصف مزارع شبعا لن يكون مفيداً لجهة تسريع الحل؟

ــ طبعاً. ونحن قد خبرنا ذلك كله في لبنان وظللنا حوالي الـــ١٧ سنة في قتال وخصام وأعمال عنف وغير ذلك ورأينا ما جرت علينا هذه الحرب من ويلات، ولذلك نحن لسنا مع العنف على الاطلاق بل مع الحوار بحيث ان كل شعب يتمتع بحقوقه.

* هناك مؤشرات الى ان الفلسطينيين لن ينالوا حق العودة الى وطنهم، وربما مورست ضغوط اميركية خصوصاً لتوطينهم حيث يقيمون منذ سنوات. ما سيكون موقفكم لو تعرض لبنان الى ضغوط من هذا النوع لتوطين الفلسطينيين الموجودين حالياً على ارضه؟

ــ لبنان له موقف صريح وواضح وهذه النقطة ايضاً اثبتت في الدستور اللبناني. لبنان هو وطن صغير ومعروفة مساحته وعدد سكانه. والكثافة السكانية فيه هي الاعلى في المنطقة، ولذلك لا يمكنه ان يستقبل نهائياً الفلسطينيين والذين هم في لبنان منذ أكثر من نصف قرن. ولذلك يجب ان يكون الحل ليس على حساب لبنان انما حل عادل بطريقة اخرى